مكتبة القرية

إذا نجحنا فى استدراج الريفى إلى النور، و إخراجه من عزلته العقلية، نكون قدصنعناشيئا كثيرا لإصلاح الريف، وتهيئة الأذهان فيه لقبول هذا الإصلاح، بل حفزها إلى المطالبة به .

وفى الريف بعض القارئين ممن تخلصوا من قيود الأمية ، كما أن فيه بعض الطلبة الذين يبعث بهم إلى المدينـة فى أثناء العام المدرسى ثم يعودون إليه فى الصيف فينقطعون عن كل ما يتعلق بالثقافة و يقضون العطلة فى ركود عقلى يكترهم فى الريف المحروم من كل وسائل التسلية والمتاع .

فلو كان فى القرية مكتبة صغيرة لأمكن أن تساعد هؤلاء وهؤلاء على الاتصال بالعـالم والخروج من هذه العزلة المكروهة ، والوحشة الدائمة .

و ينبغى ألا تبـعد المكتبة كثيرا عن الثقافات المنتشرة فى الريف ، وعن العقلية الريفية بوجه عام ، وللريف ثقافة خاصة وعقلية خاصة يعرفهما كل من عاش فيه فترة من الزمان .

ولو وكل إلىّ إعداد هذه المكتبة لاتجه اختيارى أول ما يتجه إلى تزويدها بطائفة من الكتب الدينية المبسطة فى الأحوال الشخصية وفى المعاملات والعبادات والأحاديث النبوية التى تتناول مسائل اجتماعية ، و بعض كتب حديثه للتفسير تتفق فيها آيات خاصة مما يتناول الفضائل الدينية والإنسانية والاجتماعية وتشرح شرحا عصريا قريبا من مستوى الأفهام فى القرية .

ذلك أن كل ما يأتى للقروى من ناحية الدين يتقبله قبولا حسنا ويتلقاه بالثقة والاطمئنان فاذا نحن تركنا بين يديه هذه الكتب الموسومة باسم الدين ، دون توجيه شخصى ، فربما كان أثرها فى التهذيب والإصلاح أجدى وأنفع .

و بجانب هذه الكتب الدينية يقوم الركن الثانى من أركان الثقـافة الريفية ، من تلك القصص المعروفة جيدا فى الريف المصرى : قصة عنتر بن شـداد ، وقصة كليب والزير سالم ، وقصص أبى زيد الهلالى سلامة ، وسواها .

ولا ينكر الأثر التهذيبى والثقافى لهذه القصص إلا من لا يعرف الريف المصرى ، فهى تؤثر أولا فى الذوق بما فيها من نظم وخيال ، وهى تنمى أخلاق الشجاعة والشهامة والاهتمام بالمثل العليا ، ثم تمدهم فى الوقت ذاته ببعض المعلومات التاريخية والجغرافية عن طريق التسلية . وعلى ذكر التسلية اذكر أنها مطلب يجب أن يكون أساسيا فى الريف ، فالحياة هناك كابية حزينة

وقد انتشرت المخدرات والمكيفات لانعدام وسائل التسلية البريئة فكل وسيلة من هذه الوسائل ذات قيمة خلقية ولو لم تكن وراءها ثقافة ولا معرفة .

ولا زلت أذكر شغفنا ونحن صبيان فى القرية بهذه القصص وشغف الريفيين جميعا حينما كان " الكتبى " المتنقل يحل قريتنا ومعه " جوالق " محشوة بهذه الكتب ، فيجلس فى سوق القرية و يصفها أمامه على الأرض ويبيع لنا الاطلاع عليها نظير مليمات قليلة ، أو يبيعها لبعض الموسرين من الصبيان ، فينطلقون بها فى المجامع والسهرات ، يحيلون وحشتها أنسا بهذا القصص اللذيذ المحبوب .

على أنه يمكن أن نضع بجانب هـذه القصص قصصا أخرى حديثة فى أسلوب قصصى سهل أو فى صورة أزجال ، فهذا النوع من النظم قريب من عقلية الريفيين ولغتهم ، ونضمنها وصفا لأمراضهم الاجتماعية وطريقة إصلاحها ، وندع هذا يفعل فعله فى نفوسهم ويشوقهم للإصلاح و يفتح له نفوسهم .

والكتب التى تتناول المسائل الصحية المبسطة وتبتعد بها عن اللغة العلمية الجافة ، يجب أن تؤلف جانبا مهما من مكتبة القرية ، وكلما كانت فى أسلوب قصصى أو على صورة الحوار أو مصبوغة بالصبغة الدينية كان أثرها أكبر وأنجع ، لأن الريفى لا ينفر من شىء نفوره من النصائح الصحية المجردة ، وطالما قابلها بالسخرية والتهكم أو بالتشكك وعدم التصديق .

والفلاح المصرى ماهر فى المسائل الزراعية ، ولكن فى الدائرة التقليدية ، فقد يبز المتخصصين فى الثقافات الزراعية فى زراعاته المعروفة ولكنه لا يفكر فى التنويع والتجديد . فيجب أن نضع بين يديه كتبا زراعية توجهه إلى وسائل جديدة لاستغلال أرضه وتربية حيوانه ودواجنه : والعرض الاقتصادى لهذه الوسائل أكثر وجوه العرض جاذبية ، فاذا نحن وضعنا بين يديه أرقاما عن محصول الفدان من الزراعة الجديدة وسعر هـذا المحصول بجانب النفقات المنتظرة للانتاج نكون قد سلكنا منتصف الطريق لحفزه على تجربة وسائلنا الجديدة .

ولا يصح أن تخلو المكتبة من جريدة يومية أو جريدتين تصلان القرية بالعالم ، وتنميان فى نفوس الريفيين حب المشاركة العامة ، بل تغرسان روح الوطنية بتوسيع معنى الوطن فى أذهانهم حتى يشمل المملكة كلها بدل القرية أو المديرية .

هذا الى بعض المؤلفات الاجتماعية والتاريخية والأدبية العامة لمن هم فى مستوى ثقافى أرفع ولمن يرغبون فى زيادة ثقافتهم وهم فى الريف من المتعلمين ، حتى لا تكون القرية كهفا منقطعا عن العالم فى بطون التاريخ .